



خطبة صلاة الجمعة 30 / 4 / 2021 للشيخ الطيب محمد خير الشعال, في جامع أنس بن مالك، دمشق - المالكي

### (الصدقة برهان -3-)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، وصفيُّه وخليفه، خيرُ نبيِّ اجتباه، وهدى ورحمة للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره من كرهه، اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّ صِلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (IO3) أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (IO4) وَقُلِ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرُدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة: 103 - 105].

أخرج الإمام أحمد عن سمرة بن جندب، وعمران بن حصين رضي الله عنهما قالا: ما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة إلا أمرنا بالصدقة.

#### أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الثالثة في سلسلة خطب رمضان الموسومة بـ (الصدقة برهان)، وهذا العنوان مأخوذ من حديث النبي صلى الله عليه وسلم.

أخرج الإمام مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُنِ - أو تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمَعْتَقُهَا، أَوْ مُؤَبِّقُهَا» [أخرجه مسلم].

الصدقة: ما يخرج الإنسان من ماله على وجه القرية، وأما قوله الصدقة برهان فقد قال ابن رجب: (البرهان: هو الشعاع الذي يلي وجه الشمس، ومنه سميت الحجة القاطعة برهاناً، لوضوح دلائلها على ما دلت عليه، فكذلك الصدقة برهان على صحة الإيمان).

وطيب النفس بها علامة على وجود حلاوة الإيمان وطعمه، وسبب هذا أن المال تحبه النفوس وتبخل به، فإذا سمحت بإخراجه لله عز وجل دل ذلك على صحة إيمانها بالله ووعدته ووعيدته).

قال الإمام النووي: (هذا حديث عظيم أصل من أصول الإسلام قد اشتمل على مهمات من قواعد الإسلام... ثم قال: "والصدقة برهان" معناه: يُفَرِّغُ إليها كما يفرع إلى البراهين كأن العبد إذا سئل يوم القيامة عن مصرف ماله كانت صدقاته براهين في جواب هذا السؤال فيقول تصدقت بكذا وكذا، قال: ويجوز أن يوسم المتصدق بسيماء يعرف بها فيكون برهاناً له على حاله ولا يسأل عن مصرف ماله).

ذهبت -أيها الإخوة- أجمع مادة الصدقات فوجدت حديث النبي صلى الله عليه وسلم عامراً بالحض على الصدقة وبفضل الصدقة وبآداب الصدقة وأنواع الصدقة وبأحكام الصدقة وبغير ذلك، فلم أجد خيراً من أقرأ عليكم في كل خطبة من هذه الخطب طائفة من هذه الأحاديث مع شيء من التعليق على بعضها.

جاء في كتاب جامع الأصول الذي جمع فيه مؤلفه ابن الأثير الجزري الكتب الستة البخاري ومسلم وأبا داود والترمذي والنسائي والموطأ.

قال ابن الأثير: الكتاب الخامس: في الصدقة، وفيه فصلان:

الفصل الثاني: في أحكام الصدقة

أخرج البخاري وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».

وعند أبي داود: «خَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا تَرَكَ غِنًى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».

والمراد بظهر غنى أي أن تتصدق وتترك لنفسك غنى يكفيك عيالك، ولا تتصدق بجميع مالك ثم تفتقر وتسأل الناس، وظاهر هذا الحديث معارض بحديث «أفضل الصدقة جهد المقل» وبفعل أبي بكر عندما تصدق بجميع ماله وبقوله تعالى ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: 9]، وقد قيل في الجمع بينهما: إن التصدق بجميع المال يختلف باختلاف الأحوال، فمن كان قوياً على

ذلك يعلم من نفسه الصبر لم يمنع، وعليه يتنزل فعل أبي بكر الصديق وإيثار الأنصار على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن لم يكن كذلك فلا، وعليه يتنزل «**لا صدقة إلا عن ظهر غنى**» والله أعلم.

ويؤيد القول بأن لا يتصدق امرؤ بماله كله ويترك نفسه محتاجاً ما أخرجه أبو داود والنسائي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قال: «**دخل رجل المسجد، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يطرحوا ثياباً، فطرحوا، فأمر له منها بثوبين، فحثَّ على الصدقة أيضاً، فجاء فطرح أحد الثوبين، فصاح به رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: خُذْ ثوبَكَ**».

والظاهر أن النبي صلى الله عليه انتهره لأنه إن تصدق بأحد ثوبيه جلس محتاجاً لمن يتصدق عليه. ويؤيده كذلك ما أخرجه أبو داود عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: قال: «**كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ بِمِثْلِ بَيْضَةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصَبْتُ هَذِهِ مِنْ مَعْدِنٍ، فَخَذَهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ، مَا أَمْلِكُ غَيْرَهَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَاهُ مِنْ قَبْلِ رُكْنِهِ الْأَيْمَنِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ قَبْلِ رُكْنِهِ الْأَيْسَرِ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ أَتَاهُ مِنْ خَلْفِهِ، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَحَذَفَهُ بِهَا، فَلَوْ أَصَابَتْهُ لَأَوْجَعْتَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَأْتِي أَحَدُكُمْ بِجَمِيعِ مَا يَمْلِكُ، فيقول: هذه صدقة، ثم يقعد يستكف الناس، خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى**».

فالحاصل أن من أراد أن يتصدق فليبق لنفسه ولمن يعول ما يكفيه.

وقوله (ابدأ بمن تعول) يعني: ابتدئ في الإنفاق والإعطاء بمن يلزمك نفقته من عيالك. فإن فضل شيء فليكن للأجانب.

أخرج النسائي عن طارق بن عبد الله المحاربي رضي الله عنه: قال: «**قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ، فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى الْمَنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، وَهُوَ يَقُولُ: يَدُ الْمُعْطَى: الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أَمْلِكُ، وَأَبَاكَ، وَأَخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ**».

وأخرج أبو داود والنسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: «**أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْصَّدَقَةِ يَوْمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عِنْدِي دِينَارٌ؟ فَقَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ؟ قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى وَلَدِكَ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ؟ قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى زَوْجَتِكَ، أَوْ عَلَى زَوْجِكَ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: تَصَدَّقْ بِهِ عَلَى خَادِمِكَ، قَالَ: عِنْدِي آخَرُ، قَالَ: أَنْتَ أَبْصَرُ**».

وأخرج البخاري ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه: قال: «**كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الْأَنْصَارِ مَالًا بِالْمَدِينَةِ مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبَّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُ حَاءٍ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبَلَةَ الْمَسْجِدِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى**

الله عليه وسلم يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب، قال أنس: فلما نزلت هذه الآية: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: 92] قام أبو طلحة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لَنْ تَأْكُلُوا الْبَرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب مالي إليّ: بئرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برّها ودُخْرَها عند الله، فَضَعُها يا رسول الله حيث أراك الله، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بَخٍ، ذلِكَ مال رابح، ذلِكَ مال رابح، وقد سمعتُ ما قلتَ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»، فقال أبو طلحة: أفعُلُ يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه». **أيها الإخوة:**

لا تخلو عائلة من أغنياء ومتوسطي الغنى وفقراء، فإذا ما قام الأغنياء ومتوسطو الحال بكفالة أقربائهم الفقراء والمحتاجين عن طريق الزكاة والصدقات فقد سعدوا وأسعدوا، وكم سمعت في أسر هذه البلدة عن صناديق عائلية يضع فيها أغنياء العائلة صدقاتهم وزكاتهم ثم يعطون منها فقراءهم فتساعد في إغناء من يفتقر، ومداواة من يمرض، ورعاية أيتام من يتوفاً، وتعليم من لا يستطيع إتمام تحصيله العلمي مع تفوقه وتميزه، وإقراض المحتاج. وقد اشترت إحدى العائلات من مال الصدقات قطعة أرض، وبدؤوا بإنشاء بناءين طابقين جعلاهما شققاً سكنية صغيرة سيقدمونها لشباب العائلة الفقراء الذين لا يستطيعون شراء منازل؛ لإعانتهم على الزواج.

قال عليه السلام: «الْصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ اثْنَتَانِ: صِلَةٌ وَصَدَقَةٌ» [الترمذي والنسائي].

وأخبرني يوماً كبير عائلة أنهم أنشأوا صندوقاً عائلياً منذ خمس وعشرين سنة فساعدوا من خلاله في زواج عدد من شباب العائلة وبناتها الذين لا يجدون نكاحاً، ودفع تكاليف العلاج مئات المرات لكل من لا يستطيع علاجاً من أفراد هذه الأسرة، وأقرض الصندوق الكثير الكثير لمن احتاج القرض من أبنائهم، وبذل ما بذل لإتمام تعليم الأبناء الذين لم يعد آباؤهم يستطيعون تحمل نفقات دراستهم، وواسوا مبتلى وهنؤوا مسروراً وعزّوا مصاباً وقضوا حاجة محتاجين ويسروا على معسرين ونفسوا عن مكروب.

وفي ظل الأزمة حمل هذا الصندوق فقراءهم فلم يبت واحد منهم في مركز إيواء، ولا احتاج رجل منهم أو امرأة أن يقف أو تقف على أبواب الجمعيات الخيرية.

فصدقتك على رحمك الأقرب فالأقرب صدقة وصلة، وابدأ بمن تعول.

أخرج البخاري ومسلم عن زينب امرأة ابن مسعود رضي الله عنهما: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَصَدَّقْنَ يا معشر النساء، ولو من خُلَيْكَنَّ، قالت: فرجعتُ إلى عبد الله، فقلتُ: إِنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ الْيَدِ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أَمَرَنَا بِالْصَّدَقَةِ، فَأَنْتَ فَاسْأَلْهُ، فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُجْزِي عَنِّي، وَإِلَّا صَرَفْتُهَا إِلَى غَيْرِكُمْ؟ فَقَالَ لِي عَبْدُ اللَّهِ: بَلْ أَتَيْتِهِ أَنْتِ، قَالَتْ: فَاَنْطَلَقْتُ، فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ بِيَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَاجَتِي حَاجَتُهَا، قَالَتْ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيْهِ الْمَهَابَةُ، قَالَتْ: فَخَرَجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائْتِ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبِرْهُ: أَنَّ امْرَأَتَيْنِ بِالْبَابِ يَسْأَلَانِكَ: أُتْجِزِي الصَّدَقَةَ عَنْهُمَا عَلَى أَزْوَاجِهِمَا، وَعَلَى أَيْتَامٍ فِي حُجُورِهِمَا؟ وَلَا تَخْبِرْهُ مِنْ نَحْنُ. قَالَتْ: فَدَخَلَ بِلَالٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَنْ هُمَا؟ قَالَ: امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ وَزَيْنَبُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الزَيْنَابِ؟ قَالَ: امْرَأَةُ عَبْدِ اللَّهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لهما أَجْرَانِ: أَجْرُ الْقَرَابَةِ، وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ».

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري قال النبي صلى الله عليه وسلم: «زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ أَحَقُّ مِنْ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَيْهِمْ».

وبعد أيها الإخوة:

هذه طائفة الثالثة من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الصدقة، ورمضان وقت الإقبال على الله وبذل المعروف وعون الملهوف، فكيف إذا كان الناس في أزمة وضائقة.

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى أن يبذل الواجد، وأن يستعفف القادر، وأن يعين بعضنا بعضاً.

عن الحسن البصري قال: لقد عهدت المسلمين وإنَّ الرَّجُلَ فِيهِمْ يَصْبَحُ يَقُولُ:

يا أهلاه يا أهلاه، يَتِمِّمُكُمْ يَتِمِّمُكُمْ، يا أهلاه يا أهلاه، مَسْكِينُكُمْ مَسْكِينُكُمْ، يا أهلاه يا أهلاه، جَارُكُمْ جَارُكُمْ.

فاستوصوا بأنفسكم وأهليكم وجيرانكم وسائر الناس خيراً. وحسبكم أن الذي يجازي على الصدقة

رب العالمين ﴿إِنَّ اللَّهَ يُجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: 88].

والحمد لله رب العالمين